مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي

الأستاذ: العابد ميهوب

كلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية و الانسانية،

قسم العلوم الإجتماعية ، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر

الملخص :

تعتبر التنمية عملية تغيير شاملة، فهى موجهة و معقدة، و تضم كافة جوانب الحياة بكل تعقيداتها و تراكماتها، كما تستهدف إحداث تغيرات بنائية و وظيفية في المجتمع، و لتحقق أكبر قدر من الرفاهية للإنسان . لذا فقد اهتم الكثير من المفكرين في تقديم مقاربات و نظريات و تصورات و تحليلها بغية الكشف عن آليات التغير و أساليب التنمية. و الدراسة هى محاولة لتقديم رأى و تصور المفكر الجزائري (مالك بن نبى) حول موضوع التنمية، الذي قدّم اسهاما نظريا آخذا بعين الإعتبار فكرة الحضارة منطلقا من فكرة الإنسان نفسه قبل كل شيء.

Abstract:

In view of the fact that development is a comprehensive, guided and complicated operation of change. It contains all the living sides, with its complixity and its accumulation. It aims at creation of constructional and functional change in the society, and to realize a very important of welfare for the men. Therfore many thinkers pay attention to present approachers, theories and conceptions with their analysis in order to discover the machinaries of change and ways of development .

This study is an attempt for presenting Malek Ben Nabi´s opinion and his conception about the development. Who gives a theoritical contribution and takes into considiration the idea of civilisation,and starts from man himself before all.

مقدمة:

يجمع أغلب المنظرين في علم الاجتماع و الاقتصاد على أن التنمية هي عملية تغيير موجهة و معقدة و شاملة تضم كافة جوانب الحياة الاقتصادية و السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الإيديولوجية، وتستهدف إحداث تغيرات بنائية و وظيفية في المجتمع، و سعيا لتحقيق أكبر قدر من الرفاهية للإنسان .فقد أفلحت في استقطاب اهتمام المفكرين و العلماء و الفلاسفة منذ عصور قديمة لدراستها و تحليلها بهدف الكشف عن آليات التغير و أساليب التنمية. و كانت هاته التصورات رؤى و وجهات نظر شخصية لتناول مشكل التنمية و معرفة مداخلها العلمية والمنهجية بغية استثمارها في واقع المجتمعات مواصلة لعملية التقدم و التطور أو استنهاضا للواقع المتخلف.

و نحاول في هذه الدراسة أن نقدم وجهة نظر أحد مفكري العالم العربي و الإسلامي الذي حُضي فكره بالدراسة في كافة جوانبه، إلاّ أن الجانب التنموي منه بقي مجهولا لدى الدارسين على مستوى التخصيص و التدقيق، نقصد بذلك المفكر " مالك بن نبي " الذي عالج مشكلة العالم العربي و الإسلامي في إطار (مشكلات الحضارة) انطلاقا من تشخيص فكرة التخلف و ربطها بالاستعمار، وصولا إلى بناء الحضارة متأصلة في مرجعياتها، وأسسها، ومكتسبة لمناعة ضد التغريب أو المسخ، ومنبثقة عن محفز ديني يتوافق والطموحات الاجتماعية والمساعي ذات الأبعاد الإنسانية في صياغها الحضاري الناشئ والمنتظر، هي مشهد آخر مختلف، و متألق ذو خاصية إسلامية مطبوعة ومتفتحة على حضارات أخرى في نطاق التبادل الإيجابي دون الانصهار فيها، أو محاولة تقليدها، والانسلاخ عن هويتنا، ومرجعياتنا.

حاول هذه الدراسة أن تجيب عن التساؤلات التالية:

1 ـ ماهي أسباب التخلف و مظاهره ؟

2 ـ ماهي مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي و ركائزها ؟

3 ـ ماهي رهانات التنمية عند مالك بن نبي ؟

1. أسباب التخلف في فكر مالك بن نبي: تحاول طائفة من الباحثين معالجة قضايا التنمية و التخلف من المنظور الاقتصادي الخالص، من خلال تحديد متغيرات التطور و التقدم في الدول المتقدمة، لكن المقاربة التي قدّمها المفكر (مالك بن نبي) في هذا الموضوع أضافت إلى الطرح التي قدّمته نظرية التنمية في العالم المتقدم التي ركّزت على الجانب المالي إلى دراسة و تحليل الإنسان نفسه، و قد أرجع مالك بن نبي أسباب التخلف إلى العوامل التالية :

1.1: القابلية للاستعمار: أشار مالك بن نبي إلى مفهوم " **القابلية للاستعمار**" كمفهوم تحليلي لواقع المسلمين ما بعد الموحدين عموما و ذلك بسبب التخلف الذي عمّ في بلاد. فقد استكان المجتمع إلى الراحة و الدعة، و لا ترجع هذه الحالة الانهزامية إلى الاستعمار بل هناك كما يقول مالك بن نبي : " معامل آخر ينبعث من داخل الفرد ، الذي يقبل على نفسه تلك الصبغة، و السير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار و حدّد له فيها حركاته و أفكاره و حياته " و يضيف في معرض تحليله أن انحطاط الأمّة منذ عهد الموحّدين هو الذي أدّى إلى بـ "القابلية للاستعمار، ليس من شك بأن تلك الأفعال الاستعمارية من اقتلاع وتدمير وتغيير وتغريب كانت لها الآثار السلبية والتخريبية على المجتمع والإنسان الجزائريين في مختلف الأبعاد الأخلاقية و النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية... الخ[1].

2.1 عدم الفعالية: وكان من نتائج هذا الانفصام الأخلاقي ، أن المسلم يحمل أفكاراً صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في دنيا الواقع، بفعل الخمول لأن البيئة التي تحيط به وتغذيه بثقافتها أصبح مثلها الأعلى هو الزهد والصوفية ، ولا يتمثلون بعمر بن الخطاب أو بعبد الله بن المبارك أو الإمام مالك ، (والمسلم في هذه الحالة إنما يغالط نفسه ، فيهرب إلى هذه التعليلات الصوفية الكاذبة[2].

وفي المقابل، نجد عند الغربيين أفكاراً قد لا تثبت أمام النقد الموجه لها ولكنهم استخدموها إلى أقصى ما يستطيعون، مثل : (فكرة التقدم)، والمسلم يحمل القرآن ولكنه لا يستفيد منه كثيراً في التخطيط لنهضة قادمة، فعقلية ما بعد الموحدين تشله عن الإبداع ، لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط الاختراع بالرعاية، أمثلة على هذا الخلل:

- **ذهان السهولة (مرض السهولة)** : يميل المسلم في تقويمه للأشياء إما للغلو فيها أو للحط من قيمتها ، ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض : فإما أن الأمور سهلة جداً ولا تحتاج إلى تعب وكد فكر ، والحل بسيط، وإما أن الأمور مستحيلة ، وأبرز مثال على مرض (السهولة) . وهناك من يظن أنه بخطبة رنانة تحل مشاكل المسلمين ، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنه يؤثر السهولة ويكتفي بتفسير سطحي ، وعندما تخطط السياسة طبقاً لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إلى تيارها كثيراً من الناس ذوي النوايا الطيبة ، الذين يقدرون الأشياء بناء على سهولة الحاضر لا على صعوبات المستقبل[3]. و أيسر طريق لأصحاب السياسات الانتهازية أن يستخدموا كلمات مثل: الاستعمار والإمبريالية والوطنية؛ للتغرير بالشعوب، هذه الكلمات التي (تليق جداً لتشحيم المنحدر حتى يكون الانزلاق عليه نحو السهولة ميسوراً جداً[4].
- **ذهان الاستحالة(مرض الاستحالة):** وقد يحدث العكس، فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزاً، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضخمها عمداً حتى لا يتعب نفسه في الحل، أو أنه يشعر بضآلة نفسه وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنظر إلى صعوبة إخراج المستعمر من بلادها[5]. وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون (معجزة الرجل الوحيد) كأن يأتي

صلاح الدين آخر ليوحد المسلمين من جديد ، ويعتقدون استحالة أية محاولة لاستئناف حياة إسلامية .

3.1 عدم توازن آليات التبادل التجاري: تعمل الدول الرأسمالية على استغلال الدول المتخلفة من خلال ربط اقتصاد الثانية بالأولى، حيث تحاول الإمبريالية و الطبقات الحاكمة المحافظة على اقتصاديات بلدان العالم الثالث، و استمرارية الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية الراهنة في البلدان النامية. و ذلك حتى تبقى هذه الدول مستمرة في القيام بدورها كمنتج للمواد الخام اللازمة للصناعات الغربية ، كما تعترض الدول المتقدمة أن تتحول الدول النامية إلى مصنعة و تنمية نفسها ذاتيا ، لأن ذلك يقلل اعتماد الدول النامية على الدول المتقدمة في تصريف المواد الخام التي تنتجها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يؤدي إلى تقلص دور البلدان النامية كسوق لتصريف المنتجات الأجنبية . و في ذلك يقول مالك بن نبي : " فمثلا ليس هناك أي سبب ظاهر لأن يكون سعر الحلفا الجزائرية أقل ثلاثين أو أكثر من سعر منتجاتها _ عجينة السليلوز و الورق _ المصنوعة في انكلترا[6].

4.1 الميل إلى التكديس: يعتري الإنسان العاجز مرض نفسي يتمثل في التكديس، ذلك أن إنسان الكتلة يعتقد أن المخرج من الأزمة الممتدة في ضميره تكمن في نقص الأشياء، لذا لجأ إلى تكديس أغلب الأشياء، والذي هو ظاهرة عامة في العالم الإسلامي، فكم من ورشة ومؤسسة تعمل على جلب الوسائل الحديثة، لكن بدل استغلالها في مشاريع تنموية، تقبع في مستودعات ومخازن، تفقد قيمتها يوما بعد يوم.

ولقد حذر" **فرانسيس بيكون** " المجتمع البريطاني من داء التجميع والتكديس واعتبره أحد أوهام العقل، وأبرز سمة مرضية في نفسية إنسان العصور الوسطى، ولقد شبه **بيكون** العملية التكديسية بالتجميع النملي، ذلك أن النمل يعمل على تكديس المواد دون بنائها في حين أن النحل يبني ثم يكدس. والتكديس كسلوك

مرضي لا يحل المشكل بقدر ما يزيد في عمق التخلف، وتدهور قيمة الإنسان مهما كانت منزلته الاجتماعية.

5.1 الذرية : هي نزوع العقل إلى التجزئة والذرذرة الفكرية، وتصبح المشكلات العامة مجرد أجزاء مفككة، كل جزء قائم بذاته في تصورات العقل، وبالتالي تغدو مجرد أكوام، تفقد صورة التكامل وتبتعد عن منهج التركيب المتآلف. إن الذرية علامة من علامات عجز العقل أو أزمته، والعجز أدق من الأزمة، لأن الأزمة قد تكون حاضرة حتى في مرحلة قوة العقل وشموليته، لكن العجز مرتبط بالانحطاط.

ويذكر مالك بن نبي أن المستشرق الإنجليزي" **هاملتون جب**" أستاذ بأكسفورد، اتهم العقل الإسلامي بالذرية في كتابه (LES TENDANCES MODERNES DE L'ISLAM) **ومالك** لا يوافق **جب** في جوهرية الذرية في العقل الإسلامي، لأن الذرية حالة من حالات كل عقلي، تتجلى في مرحلة البداوة والبدائية التي تصيب الكائن الحضاري وفق مبدأ الحتمية التاريخية.

ولم تستطع النهضة تعديل العقل أو إصلاحه، بل العكس تماما وقع العقل الإصلاحي في الذرية، كما نلاحظ ذلك عند محمد عبده ومحاولة الاستنجاد بالعقل الكلامي لفهم قضايا عصرنا. والذرية رغم كونها مجرد عرض إلا أن الفكر الإسلامي لم يستطع التحرر منها، قياسا بالعقل الياباني الذي عدلها في غضون نصف قرن من عمره الحضاري، يقول مالك بن نبي: «فلن يكون هذا العجز سوى عارض خاص بعقل ما بعد الموحدين، ولم تستطع – الاستطاعة عند بن نبي تكمن في التفعيل – الحركة الحديثة أو حركة الإصلاح تعديل الاستعداد العقلي في هذه الناحية تعديلا جوهريا».

6.1 الاغتراب و الانبهار بالغرب: تعمل النظريات الغربية في مجال الفكر التنموي ذات العلاقة بالظاهرة الاستعمارية على تكريس الاغتراب و الانبهار بمنتجاته و فتوحاته الثقافية ، فتذهب من خلال نظرية الانتشار الثقافي أن التنمية يمكن أن

تحقيقها من خلال العناصر المادية و الثقافية السائدة في الدول المتقدمة إلى الدول النامية. و تنمية القدرة على التقمص العاطفي التي يقترحها " **دانييل لرنر**" تلك القدرة التي تمكنه من اكتساب كل ما هو جديد ، كما أن وسائل الاتصال و انتشارها في المجتمع و تعرض الأفراد لها يعد مؤشرا منت مؤشرات التحديث .

يرى ابن نبي أنّ كل من دعاة الإصلاح والتحديث اتفقا على تجاهل واقع أمتهم كنقطة انطلاق أساسي لبناء مشروعيهما النهضويين, فعاد دعاة الإصلاح بأفكارهم إلى الماضي للتشبث به والدفاع عنه من دون تمحيص ولا نقد, وتمثل دعاة التحديث مذاهب فكرية غربية لها واقعها الخاص الذي نشأت فيه. وهو ما أدى إلى التلفيق والفوضى أحيانا وإلى اصطدام الجهود أحايين أخرى مما عرقل السير في طريق النهوض.

2. مظاهر التخلف: و قد حدّد مالك بن نبي مظاهر التخلف التي اتسم بها إنسان ما بعد الموحدين و الانحدار الحضاري إلى مجموعة من الأعراض نذكر منها:

1.2 غياب عالم الأفكار: حين يصاب المجتمع بحالة التخلف و الركود يكون في ذلك الوقت عالم الأفكار منعدما أو طغيان أفكار دخيلة عن النسق الاجتماعي الأصيل ،فلا يستطيع الإنسان القيام بعمل مثمر حين يكون عالم الأفكار لا يساعد على النشاط و الابتكار و الفاعلية ، فيسكن الإنسان في ماضيه بعيدا عن مقارعة الواقع ومناكفته.و يرى مالك بن نبي أن أهمية الأفكار في حياة مجتمع تتجلى في صورتين فهي إمّا أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، و إمّا أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة، تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا [(7)].

ذلك أن النشاط الإنساني داخل المجتمع هو انعكاس لعالم الأفكار، و عملية التنمية متوقفة على طبيعة الأفكار التي يحملها الأفراد ، فإن مالك بن نبي يرى أن ما يسود العالم الإسلامي من اختلاط و فوضى في الميادين الفكرية و الخلقية أو في ميادين السياسة ، إنما هو نتيجة ذلك الخلط من الأفكار الميتة، تلك البقايا غير

المصفاة، من الأفكار المستعارة التي يتعاظم خطرها كلما انفصلت عن إطارها التاريخي و العقلي في أوروبا[8].

2.2: تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية : و هي حالة تنتج عن سيادة النزعة الفردانية التي عكست معيار القيم، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها الذي أحدث الاصطدام الداخلي وقضي على العمل التكاملي الجاد وأدى إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه. و حين ترتخي شبكة العلاقات الاجتماعية في مرحلة الانحطاط الحضاري، و تكون بذلك عرضا من أعراض التخلف الذي يسود المجتمعات المتخلفة و تذوب فيه الأفكار البناءة و الفاعلة .

3.2: فوضى الأفكار والتكديس: فالمجتمعات النامية هي التي تحقق الانسجام و التوازن بين عالم الأفكار و الأشياء و الأشخاص، لكن فوضى التكديس والنزعة الذرية والخلط في عالم الأفكار هو ميزة البلدان المتخلفة. والتكديس ظاهرة اجتماعية تظهر في المجتمعات في مراحل تخلّفها، لأنها في هذه المرحلة لا تفكر و لا تنظم أعمالها طبقا لأفكار و قوانين، وإنما تكدّس الأشياء[9].

فالمجتمعات التي دخلت في مراحل التخلف الحضاري ، تختل الموازين عندها و تحصل الفوضى ، فتسيطر الأشياء على الإنسان ، و يرتد المجتمع إلى المرحلة الطفولية ، فتستمرئ السهولة و ينزلق الإنسان نحو الشهوات و الأشياء، فيغرق بذلك المجتمع في فوضى الأشياء و الأفكار و التكديس .

4.2: الشيئية : للشيء حضور قوي وسحر في الذات، لتعلقه باللذات والشهوات، وسد الحاجات الملحة، كما يعد عند الشعوب ذات البعد الواحد معيار القوة والحضارة، والسلوك الاجتماعي عندما يطغى عليه الشيء ترى جميع الممارسات تحاول أن ترتكز عليه كمطلب وقاعدة. وغاية الشيء بكل ما يحمله من أبعاد يعود سلبا أحيانا على الإنسان وخاصة إذا أصبح محور تفاعلات

الذات، والإنسان الجاهلي كان غارقاً في عالم الأشياء فتحول سلوكه إلى مادي ولم يخرج نموذجه عن نطاق الشيء (فرس، امرأة، سيف، رمح، الخ).

وعندما يفقد الإنسان السيطرة على الشيء يتحول فكره وسلوكه إلى النزعة التشتيتية، يصبح الكم اللغة السائدة والمعيار الناقد. ومثّل **جمال الدين الأفغاني** في تصوراته النزعة الشيئية حين انزلق فكره في عالم الأشياء، وأعتقد أن حل المشكلات الحضارية يكمن في الشيء.

وإبن نبي يحاول من خلال إبراز الشيئية كنزعة مرضية أن يلفت الانتباه أن الإنسان ليس كما ولا مادة، بل الإنسان جوهر روحي مادي. إن الإنسان ليس في نظر المسلم (الكم) الذي تجري عليه تجارب المخبر، وعمليات المصنع وحاجات الجيش، فالإنسان ليس (الكم) بل (الصفة).

5.2: الحرمان الاجتماعي: للتخلف مظاهر كثيرة و عديدة، و في شقها الاجتماعي نلاحظ ظاهرة الحرمان الاجتماعي و الذي يتمثل في عدم قدرة الفرد على التكيف مع الواقع من جهة ، و من جهة أخرى في عدم قدرة المجتمع على توفير الضمانات الاجتماعية للأفراد، و يتقرر على أساس كيفية تلبية الحاجة كل أسلوب الاقتصاد، و إنما طبقا لطبيعة المال الذي يقضي نظما خاصة بتوزيع محدود يحدّه الإمكان المالي ، أو طبقا لإرادة حضارية تفرض شبكة توزيع شاملة تشمل السكان كلهم منذ اللحظة الأولى. فإذا تقرر هذا النوع الأخير لتلبية الحاجة ، دون إخضاعها لشرط الإمكان المالي ، نستطيع مبدئيا رسم شروط الديناميكا الاقتصادية في صورة مسلمتين :

أ/ لقمة العيش حق لكل فم .

ب/ العمل واجب على كل ساعد.

و بالتالي فإن الفرد في المجتمعات المتخلفة ما زال بعيد عن هاته المسلمة ، المتأرجحة بين الحق و الواجب في إطاره الاجتماعي ذو البعد الاقتصادي[10].

6.2 : النزعة السياسوية و فئة الانتقاليين وسلوك الاستبداد: إن احتدام الصراع بين مجموع الأفراد والساسة منذ القدم، ولم يستقم العمل السياسي والممارسة السياسية إلا من خلال الدساتير والمواثيق فقط ، لكن عندما يكون الشعب في ذروة الحضارة. ولعل أبرز مؤشر لمعالم الانهيار يكمن في السياسة، أن مشكلة العالم الإسلامي بدأت حين وقع الشرخ في كيان المجتمع من حادثة السقيفة وصفين. إذ بدأت النزعة الاستبدادية تتجذر في أذهان الحكام ونفسيتهم، بل أصبحت الصورة النمطية للعلاقة بين الراعي والرعية يشوبها الغموض. ومجتمع ما بعد الموحدين، مارس ساسته أشنع صور الاستبداد وغلبت المصالح الشخصية القيم الأخلاقية والإنسانية، وغدا المجتمع مذرذرا مفككا، تسوده الطبقية. وإذا ما تعذر هذا العامل، فإن القطيعة المعنوية سوف تعزل الدولة عن المواطن وتشل الطاقات الاجتماعية، أو تشتتها تشتيتا تكون نتائجه: عدم الانسجام وعدم التناغم.وعندما بدأت الشعوب تخرج من نطاق الأمية وتتخطى أوهام العقل رويدا رويدا، بدأت الحرباء السياسية تتلون من جديد بألوان الإغراء والوعود، والشعارات البراقة، خصوصا حين ترفع شعارات خلابة وتصرح بوعود مغرية.

3. مقومات النهوض التنموي: بعد أن شخّص مالك بن نبي أسباب التخلف و مظاهره التي تمحورت حول طبيعة الإنسان من جهة، عدم التحكم في آليات و متغيرات التنمية الحديثة من جهة أخرى، قدّم مالك بن نبي أسباب النهوض و مقومات المشروع التنموي التي لخّصها في النقاط التالية :

1.3 : الاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي: و هي خاصية تتميز بها دول العالم الثالث المتخلف التي وجدت أنظمتها نفسها تعيش في بحبوحة من العيش بعد أن شكلت اقتصاد ريعي يعتمد على المال دون الاستثمار في الموارد البشرية التي أصبحت ميزة خاصة في دول المحور الآخر (واشنطن ـ موسكو) التي تحاول دوما أن تنمي الإنسان و تستثمر فيه، و أكثر من ذلك فهي تحاول أن تستقطب

الكفاءات في الدول الأخرى من أجل تطوير ذاتها و اقتصادياتها. لأن المال وحده لا يبني الدول بقدر ما يبنيه المجتمع بما يملكه من استعدادات ذهنية و عقلية ، و هنا يتبادر الى أذهاننا أمران :

أ/ إن أمريكا لا تستطيع بإمكانها المالي أن تشتري مدينة نيويورك.

ب/ بينما تستطيع بإمكانها الاجتماعي بناء أو إعادة بناء مئات مدن مثل نيويورك[11].

بل أن المثل الأعلى الذي يقدمه مالك بن نبي في هذا المجال هو كيف خرج المجتمع الألماني من نكسة الحرب العالمية الثانية التي دمرت البنية الفوقية للأمة الألمانية ، لكن لما كان عالم الأفكار ومصدر ابتعاث القيم فيه مازال ينبض، فإن عملية الإحياء و إعادة الإبتعاث في ألمانيا لم يدم طويلا[12].

و اعتمدت الصين على إمكانياتها البشرية في بناء الأمة الصينية ،و استفادت من التجارب الفاشلة(تجربة التعدين)، حيث لم تقم بتفتيت التنظيم الاجتماعي السائد فيها منذ الكونفيشيوسية و هو (النمط الزراعي) الشيء الذي جعلها تتقدم بنسب متسارعة في اقتصادها مطبقة في ذلك خطط تنموية تعتمد على الذات وتستثمر في الإنسان الصيني و التراب الصيني و الزمن المتوفر في كل أرض[13].

2.3: أخلقة عمليتي الإنتاج و التوزيع: انطلق مالك بن نبي في نقد النظام الرأسمالي من خلال الأساس المذهبي لـ **(آدم سميث)** القائم على إرادة المال و فتح الباب على مصراعيه للرأسمالية المتوحشة على حساب المصلحة العامة في المجال السياسي و المصالح الخاصة بالمنتجين و المستهلكين، وتفكيك المجتمع و تقسيمه طبقيا باسم الحرية المالية من خلال مبدأ (دعه يعمل دعه يسير).

جُبل الإنسان فطريا على حب السهولة و إتباع المنحدر إذا لم يكن له مدفوعا الى الأعلى بالقوة الضاغطة، فالمسلم حين دخل المعترك السياسي لم يكن ليؤسس نظرة إستراتيجية شاملة لما بعد الاستقلال، فقد كان يطالب بحقوقه السياسية دون عمل

واجباته الأخلاقية حينما كان يركض وراء استقلال لا تؤيده مقومات السيادة الحقيقية للشعوب. هذا العور و القصور تحدد معالمه الأساسية في الجانب الثقافي و في الأساس الأخلاقي . فالسياسة التي

بالحقوق دون العمل على تمكين المجتمع من القيام بواجباته هو انتحار حقيقي للمجتمع .

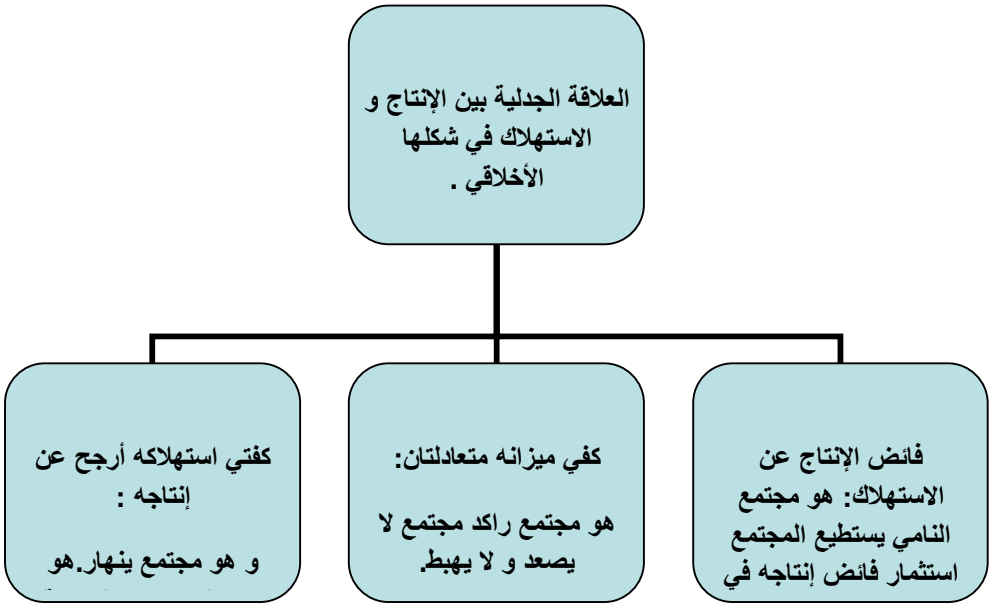

شكل يوضح : طبيعة العلاقة بين الأخلاق و الاقتصاد في مجال الاستهلاك و الإنتاج، المصدر : الباحث .

فيقول مالك بن نبي في هذا الشأن فلو اصطلحنا على المدلول العام للمفهومين أن " الواجب" هو ما نعطيه مثلا للمجتمع، و أم "الحق" هو ما نأخذه ، و أنها يمثلان على محور القيم الجبرية قيمتين مختلفتي العلاقة على طرفي الصفر، لو اصطلحنا على ذلك لجاءت صياغة العلاقة بينهما في صورة معادلة : واجب + حق = 0 .

و كذلك بالنسبة للاستهلاك و الإنتاج: الإنتاج + الاستهلاك = 0

فهذه التجربة الإنسانية يجب أن تعيد للاقتصاد أخلاقياته و تتلافى الانحرافات الإباحية المتمثلة في الرأسمالية و ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات و الأشياء[14].

إن هاته المعادلة الرياضية ذات الطابع الثقافي بين الإنتاج والاستهلاك، هي علاقة أخلاقية اقتصادية تدل على حالات يحقق المجتمع إحداها حسب اتجاهه الثقافي .

3.3 : الأخذ بالمعادلة الاجتماعية للمجتمع: ركّز مالك بن نبي كثيرا على التفريق بين الإنسان و الفرد، في المثال الذي قدّمه عن الإنسان الألماني و الإنسان الاندونيسي من خلال مشروع **(الدكتور شاخت)** الذي نجح في المجتمع الأول و فشل في الثاني ، ذلك لأن المخطط مستمد أساسا من تراب ألمانيا من جهة ، لاستعدادات الشعب الألماني الذهنية و الثقافية ومن جهة ثانية. فنجاح الخطة في ألمانيا بسبب الأخذ بالمعادلة الاجتماعية التي تختلف عن غيرها من المعادلات الاجتماعية الأخرى من حيث الزمان و المكان و التراب . فتعثر التجربة الاندونيسية كان بسبب الخطأ في تقدير المعطيات البشرية في المجال الاقتصادي التي حاول فيها (شاخت) أن يسقط التجربة الألمانية على الواقع الاندونيسي، بينما الواقع الإنساني لا يفسر على أساس معادلة و بعد واحدة بل حسب المعادلتين :

أ/ معادلة اجتماعية: تختلف من مجتمع إلى آخر، و في مجتمع واحد تختلف من عصر إلى آخر حسب الاختلاف في درجة النمو و التخلف.

ب/ معادلة بيولوجية : تسوي بين الإنسان و أخيه في كل مكان ليستطيع هذا كل ما يستطيع الآخر ، إلاّ فيما فضّل فيه بعض الأفراد عن الآخرين[15].

و كحل لهاته المعضلة يطرح مالك بن نبي هذه المعادلة الاجتماعية في صيرورة تاريخية ليستنتج أن التجارب الشخصية و استثمار المنجز الإنساني في الحضارات الأخرى هو العامل الوحيد لإنجاح الخطط الاقتصادية. فيرى أن المجتمع الغربي عموما قد صاغ معادلته الاجتماعية ـ و مازال ـ بتدرّج الأيام والسنين ، بينما المجتمع الصيني فإنه يصنعه اليوم بيده، تحت إشراف إدارة متوترة تحت ظروف

قاسية، كما هو الحال في المجتمع الياباني . أما المجتمع الإسلامي فهو في حيرة بين أمرين:

أ/ إما أن يترك الأيام تصوغ معادلته الاجتماعية أو تعيد صياغتها لتمكينه من مواجهة التحدي الذي يوجهه له عالم اقتصادي غريب عنه، و هذا طريق طويل تعبّده تجارب و محن المجتمعات الأخرى.

ب/ إما أن تطرح المشكلة صورة منهجية مثلما فعلت اليابان و الصين ، أو مثلما فعل (تايلور) و مدرسته في الغرب الذي اكتملت معادلته الاجتماعية في صورة النظرية التايلورية[16].

4.3 : ضرورة الاكتفاء الذاتي: إن التكتل في إطار محور(طنجة ـ جاكرتا) ضرورة يمليها المصير المشترك لهاته الدول، فالاكتفاء الذاتي يتحقق في إطار أمة واسعة عربية أو إسلامية ، و هو نفسه الشعور الذي كان تهدف إليه أوروبا من خلال السوق الأوروبية المشتركة أو الإتحاد الأوروبي الذي استمدّته من **(شارلمان)** أو ما يسمى " بالإمبراطورية المقدّسة "، أو كما كانت عليه دول أوروبا الشرقية في إتحادها مع الإتحاد السوفياتي سابقا، لكن على المجتمع العربي الإسلامي أن يأخذ في عين الاعتبار ضرورة الاستقلال الفكري عن الغير .مع الأخذ في الحسبان حدود الإمكانيات الفردية لمواجهة الضرورات الداخلية و الخارجية .و الأخذ بالتجارب الأخرى للمجتمعات، فنحن لا نملك شروط (الاقتصاد التكاملي) أي أن نستهلك ما ننتج دون الحاجة الى الغير كما هو الحال في أمريكا و الصين و روسيا بدرجة أقل، فمالك بن نبي يرى أنه من الواجب تنظيم حياتنا الاقتصادية ،على شروط تحقيق حلقة اقتصادية كاملة داخل حدودها، متخذة أساسا شروطا الاستثمار الاجتماعي التي قدمّناها في صورة مسلّمتين ربما يكون تطبيقهما في حدود الوطن الواحد، على درجة الصعوبة، و لكنها تنخفض بمقدار ما تتسع رقعة التطبيق.

5.3: بناء شبكة العلاقات الاجتماعية: تعرّف بأنها: مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية التي توفر الصلات الضرورية داخل العوالم الثلاث:الأشخاص والأفكار و الأشياء[17].

و يعد بناء شبكة العلاقات الاجتماعية أول عمل تاريخي يقوم به مجتمع، إذ أن ميلاده مرهون باكتمال و تلاحم هذه الشبكة داخل النسق الاجتماعي في إطارها الاقتصادي و السياسي و الثقافي.و تخضع فاعلية الأفكار ـ في أي مجتمع ـ لشبكة العلاقات الاجتماعية، فكما كانت أكثر متانة بين الأفراد، كان العمل فعالا مؤثرا[18].

و يستنتج مالك بن نبي فاعلية النشاط المشترك بين الأشخاص في المجتمع، و العلاقة بين هذه الشبكة و بين المجتمع " فإذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كما و كيفا في شبكة علاقاته الاجتماعية في صورة توتر أو ارتخاء في التوتر، أو في تفكك الشبكة نهائيا عند مرحلة أفول المجتمع[19].

و يعد تشكيل هاته العلاقة أول عمل يؤديه المجتمع من أجل قيام بمشروع تنمية أصيل تكون فيه طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع اللبنة الأولى في الاستئناف الحضاري، و لهذا يخلق الدين الإسلامي نظاما اجتماعيا يصير فيه الفرد الى أفراد كثيرين ، و تعد شبكة العلاقات الاجتماعية الأداة الجامعة لكل الطاقات الحية في المجتمع، و يتجلى هذا التماسك في صورة نشاط مشترك يقوم به المجتمع وظيفته تجميع هذه الطاقات الفردية لمصلحته بفضل هذه الشبكة .

6.3: التنمية السياسية: وهذا يستدعي ضرورة مراجعتنا لتصوراتنا النظرية وسلوكياتنا العملية، اتجاه مسألتي الحق والواجب، بحيث يجب أن نؤسس فلسفة نهوضنا على أساس القيام بالواجب عن قناعة والمصحوبة بالشعور بروح المسؤولية.

وتحقيق انسجام عمل الفرد مع عمل الدولة من خلال العمل على رأب الصدع وتقليص الهوة الموجودة بين الحاكم والمحكوم بتوجيه نشاطات كل منهما إلى

اتجاه موحد تتجانس فيه جهودهما وتتكامل، فالفعل السياسي لن يحقق نجاحه إلاّ إذا تبناه أفراد المجتمع، في إطار تعاون وتفاعل إيجابي بين عمل كل من الدولة والفرد.كما يجب ربط السياسة بالأخلاق والعلم، وذلك باستبعاد التحايل والخداع والمكر من الممارسة السياسية، وربطها بقواعدها العلمية التي تراعي الجوانب الفكرية والنفسية والاجتماعية المعبرة عن خصوصيات الأمة. وبالموازاة مع ذلك يجب العمل على توفير الوقاية والحماية للمنجزات المحققة.

7.3 : إعادة الدور الاجتماعي للدين : يبنى المشروع التغييري النهضوي عند مالك بن نبي على فكرة الدينية التي هي أساس كل تنمية في أي مجتمع ،فالتنمية التي تستهدف تغيير الفرد من الداخل يجب أن تحتوي على روح دينية ، و قد اهتم إبن نبي بالدين من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغة الإنسان الحضاري ،و بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ، وفي تكوين اللحمة بين عالم الأشخاص و الأفكار و الأشياء.

و من هنا نجد أن الوظيفة الاجتماعية لدين تحقق في شكل تركيب يهدف الى تشكيل قيم تمر من الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني ينطبق على مرحلة معينة للحضارة ، و هذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية ، و يجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية مقدّرة بساعات ، تمرّ وقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل ، و من التراب الذي يقدّم في صورة فردية مطلقة غذاء إنسان في صورة استهلاك بسيط ، مجالا مجهّزا مكيفا تكييفا فنيا ، يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة ، تبعا لظروف عملية الإنتاج . و تكمن قيمة الفكرة الدينية عند مالك بن نبي في وظيفتها الاجتماعية ، لا في أصالتها الذاتية ، و من هذا المنطلق فرّق بين صدق الفكرة الدينية و فاعليتها ، فالدين و إن كان صحيحا فإنه يفقد فاعليته الاجتماعية بسبب الإنسان، و على العكس من ذلك يرى أن الدين و إن كان باطلا فإن فاعليته تظهر حسب الإنسان الذي يحمله . ويدعو إلى ضرورة إرجاع الفاعلية الاجتماعية للعقيدة من خلال معالجة ظاهرة الانفصام

المرضي الذي يعيشه المسلم المعاصر، ولعل الحل يكمن في تأسيس علم جديد يسميه ابن نبي "علم تجديد الصلة بالله" وظيفته أن يُشعر المسلم بوجود الله وليس أن يُبرهن له على وجوده.

8.3 :بناء الإنسان الجديد غير القابل للاستعمار: وتكمن وظيفة هذا الإنسان الجديد في التعرف على ذاته من دون نكران لها ولا تمجيد، وإنّما بعقلانية المحص والناقد الموضوعي، كما يجب عليه أيضا أن يتعرف على الآخر من دون عقدة رفض ولا عقدة انبهار، وإنّما بمعرفة موضوعية تُظهر حقيقة الآخر بإيجابياته وسلبياته. ليجد بذلك مكانه المناسب في خريطة التطور الحضاري للمجتمعات والأمم. وبعدها يسعى لتعريف الآخر بنفسه، من خلال البحث عن آليات التواصل معه، ومحاولة معرفة حاجات الإنسانية لغرض خدمتها.

9.3: تحقيق الفعالية: و ذلك من خلال ربط الفكر بالعمل، فعلاج الجدل العقيم والخطابة الجوفاء يكون بالجمع بين العلم النظري والعمل التطبيقي أي ربط العلم بأهداف عملية معبرة عن متطلبات الواقع.

لقد ركّز مالك بن نبي على بناء الإنسان الجديد القوي بمعرفته لذاته ولغيره والمدرك لدوره والمؤمن بأهمية رسالته, ولا يكون هذا إلاّ بالتركز على التجديد والتغيير فيما يتعلق بالجانب النفسي لأنّ معجزة التغيير مستوطنة في نفسية الفرد لا فيما يحيط به من وسائل مادية.وطريق النهضة حسب ابن نبي يمر عبر شارع الواجبات المقدسة في ضمير كل فرد من أبناء الأمة، فالشعب الذي يريد التحضر يعمل ويجتهد في كل يوم وفي كل دقيقة وفي مختلف مجالات حياته. ودخولنا للمجتمع العالمي وضمان مكانة محترمة بين الأمم يفرض علينا أن نسلك طريقا جديد لم يسلكه غيرنا وأن نقدم للإنسانية بعض الحاجات التي افتقدتها في عصر العلم والمادة رغم أنّها في أمس الحاجة إليها.كما يجب أن ندرك أن كل فكرة تودع في التربة ستتحول إلى مشروع ثقافي مجسد في الميدان إن هي وجدت الأرضية الملائمة واللحظة التاريخية المناسبة.

4. ركائز التنمية عند مالك بن نبي:

يؤسس مالك بن نبي لفكرة التنمية من مدخل متكامل يأخذ بالنظرة الكلية للمجتمع، و رفضا التفسيرات التجزيئية و التبضيعية لها. و ذلك أن المجتمع وحدة كلية تترابط أجزاؤها، و تتساند فيما بينها، ولا يمكن أن تفهم إلاّ من خلال علاقتها مع بالأعضاء الآخرين. أي أن فهم أي نظام أو ظاهرة اجتماعية إلاّ في ضوء علاقتها بالسياق الاجتماعي العام الذي توجد في إطاره، أي أننا عند دراسة ظاهرة التخلف لا بد من مراعاة كافة مكونات البناء الاجتماعي مثل البناء الديمغرافي ، والنسق الإيكولوجي، والنسق الاقتصادي، والنسق السياسي، النسق التعليمي، و النسق القرابي والبناء الطبقي...إلخ[20].

و قد نقد مالك بن نبي المقاربات النظرية التي تأسست في أعقاب الحرب العالمية الثانية و ما قبلها، التي أنتجتها المنظومة الغربية مفسرة و يحلل واقع غربي يبحث عن أسواق تارة، و يبرر إستعمارات تارة أخرى. هذا و قد حاول تحليل أسباب إخفاق المداخل التنموية التي تبنّتها الدول العربية والتي أرجعها إلى الأسباب التالية:

أ/ عدم تشخيص غاية النهضة بصورة واضحة .

ب / عدم تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصا صحيحا.

ج/ عدم تحديد الوسائل تحديدا يناسب الغاية المنشودة و الإمكانيات.

و يحدد مالك بن نبي شروط التنمية من خلال عوالمه الثلاث، فهي حجر الزاوية لإرادة التغيير، فلا طريقة سوى: الإنسان، والتراب، والوقت، وإرادته لتلك الحركة ، فهذه هي رأسمال المبدئي وكل ما عدا ذلك: من القصور الشاخات، والجامعات والطائرات، ما هي إلا مكتسبات النهضة، وليست عناصر أولية لعملية النهضة[21].

و يضيف قائلا:" وليس من الضروري ولا من الممكن أن تكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه من الإنسان والتراب والوقت[22].

والتنمية رهن بمدى فعّالية الإنسان وحركته من أجل إنجازها ، وليست المادة وحدها العاملة على التغيير بل التركيبة الثلاثية بقيادة الإنسان، فإن " القضية ليست قضية أدوات ولا إمكانيات إن القضية في أنفسنا، إنَ علينا أن ندرس أولاً الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن؛ سكن المجتمع والتاريخ، ذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ ، فنرى المجتمع حيناً يزخر بوجود النشاط، وأحياناً نراه ساكناً لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات، وهل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده[23].

1.4 : الإنسان : لقد بين ابن نبي أهمية الإنسان في التنمية، بكونه المحرك لعناصر النهضة الأخرى ولكن كيف تتحقق فعّالية الإنسان في الحركة التغييرية، إنه يرى ذلك من خلال توجيهه في ثلاث نواح هي:

أ ـ توجيه الثقافة.

ب ـ توجيه العمل.

ج ـ توجيه الرأسمال.

ثم يبين مفهوم فكرة التوجيه بأنها " قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف، فكم من طاقات وقوى لم تستخدم، لأننا لا نعرف كيف نستخدمها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زحمتها قوى أخرى، صادرة عن نفس المصدر متجهة إلى نفس الهدف، فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة، والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل، المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية،

والإنتاجية، المناسبة لكل عضو من أعضائه، وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان[24].

ويذكر ابن نبي أن النهضة في العالم الإسلامي بها منعطفات خطيرة، وأول شرط من شروط تحقيقها هو الإنسان الذي يتمثل فيه مفهوم التغيير قال تعالى:(**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) سورة الرعد، الآية: 13. وأول ما يراد تغييره هو منهجية التفكير وطريقته، وذلك عن طريق توجيهه الثقافي؛ لأن الثقافة: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها منذ ولادته كرأسمال في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[25].

ولكن كيف تعود الثقافة إلى العمل ضمن وظيفتها في التنمية ؟ يرى ابن نبي أنه لكي تعود لذلك فلابد من تنظيفها من الانحراف، وذلك بتصفية العادات والحياة مما يشوبها من معوقات للنهضة، المتمثلة في المتعالمين. و يرى أن التوجيه مرتبط بالمفاهيم الفكرية المؤسسة على أصول ثقافية، والثقافة الإسلامية هي الأساس في كل تغيير، فلابد من التوجيه لأنه "ينبغي أن يكون المهمة الأولى في خطة النهضة الإسلامية، لأن تحقيقه هو الذي يوجد الشرط الأول لتحويل الجهود في نطاق هذه النهضة إلى جهود فعّالة[26].

1.1.4: توجيه الثقافة: في حديث مالك بن نبي عن تكوين الإنسان، و تحت عنوان(توجيه الثقافة)، يتعرض لمدلولها فيقول... و الثقافة من الأشياء الأساسية التي تتطلب بإلحاح تعريفا بل تعريفين :

الأول : يحددها في ضوء حالتنا الراهنة .

الثاني: يحددها حسب مصيرها.

لأن جيلنا هذا حدّ فاصل بين عهدتين: عهد الكساد و الخمول، و عهد النشاط و المدنية[27].

لذا نرى مالك بن نبي يبحث عن أسس أية ثقافة من الثقافات، و ينتهي به المطاف إلى أن يحصر عناصر الثقافة في المبادئ التالية :

1.1.1.4 : التوجيه الأخلاقي : إن المقصود من التوجيه الأخلاقي هو تأثير العقيدة الدينية في مجال السلوك البشري إذ هي عنصر أساسي في الثقافة، من خلال تأصل غريزة الحياة في جماعة، بحيث يستخدم هذه الغريزة ويهديها ويوظفها بروح خلقية سامية، هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض، تأتيها مع نزول الدين، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضها ببعض[28].

إنه يرى أن الدين هو الأساس الأخلاقي الضروري لعمل التنمية، لأنه منهج تغيير يوجد من المتفرقات تآلف يعمل على بناء النهضة، وهذا واضح في الإسلام حيث عمل على تجميع الأنصار والمهاجرين، وتمّ ميلاد أول مجتمع إسلامي، أصبح كجسد واحد، وظهر ذلك من خلال اكتساب قيم جديدة. فهو يرى أن التغيير التنموي مرتبط بالتغيير الفكري، الذي له ارتباط بالمنحى الثقافي، المؤسس على أصول العقيدة الإسلامية .

2.1.1.4: التوجيه السلوكي العملي: ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، فالمجتمع الإسلامي الأول كان يعيش طبقاً لمبادئ القرآن، أمّا اليوم فهو يتكلم تبعاً لمبادئ القرآن، وذلك لعدم وجود المنطق العملي السلوكي[29].

فإن العقيدة الإسلامية لم يعد لها فعّالية في سلوك الفرد ما كان لها من فعّالية على عهد النبي (ص)، حيث يوجد انفصام بين العقيدة والسلوك " لا يحتفظ المسلم باستقلاله ابتداء من اللحظة التي يغادر فيها المسجد، فهو يسقط تحت سطوة قانون العدد، وبدلاً من أن يؤثر في الوسط طبقاً لمثله الأعلى ومبادئه، نجد أن الوسط هو الذي يؤثر عليه[30].

و يرى مالك بن نبي أن أساس النهضة هو تمثل العقيدة الإسلامية، وذلك بتحديدها من خلال كونها مصدراً للثقافة الإسلامية، من خلال ربطها بالمفاهيم المنطلقة من الأساس العقائدي وتحويلها إلى منطق عملي لا عمل منطقي، فإنه في هذه الحالة نكون قد سرنا في الاتجاه الصحيح ،وهو يرى أن من أسس و شروط التنمية : الإنسان والوقت والتراب ولكن لابد من ربطها بالعقيدة الإسلامية فهو يرى" أن السبب في ذلك أن هذه العوامل الثلاث تتطلب إلى جانبها عاملاً آخر لا غنى عنه، وهو العامل النفساني، هذا العامل الذي يصطلح على تسميته بالعقيدة، فنحن إذن أمام قضية واضحة وضوحاً كاملاً، إن الشروط اللازمة لتكون النهضة موجودة بين أيدينا فعندنا أكرم العناصر الموجودة في العالم، وعندنا أخصب المساحات الترابية وعندنا الساعات الزمنية الكافية للإبداع والابتكار[31].

فالمسلم يقتل الوقت والعلم والمال، فكيف ينفق العلم ويستغل المال؟ ينفقها في وجوه غير فعّالة، حيث العبثية واللافعالية متجذرة في ذواتنا فالعالم الإسلامي اليوم يفتقد الضابط الذي يربط بين العمل وهدفه، وبين السياسة ووسائلها، وبين الثقافة ومثلها، وبين الفكرة وتحقيقها والسياسة تجهل الوسائل، والثقافة لا تعرف المثل العليا، وعندما أراد المجتمع أن يسير طبقاً لمبادئ القرآن فقد سار في الاتجاه المعاكس، حيث بدأ يتكلم تبعاً لمبادئ القرآن وذلك لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي، فليس الذي ينقص المسلم منطق الفكرة بل الذي ينقصه منطق العمل، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجرداً، فنحن نعيش في أحلام التغيير وينقصنا المنطق العملي[32].

3.1.1.4 : توجيه العمل : يقصد مالك بن نبي بتوجيه العمل: سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد بما في ذلك جهد الراعي، والحرفي، والتاجر، والطالب، والمثقف والفلاح، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء، فهو تأليف لكل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وإيجاد بيئة جديدة فإن العمل مهم في تحقيق مصير الأشياء.

وتوجيه العمل ليس عنصراً أساسياً في المجال التنموي، ولكنه متولد من شروط النهضة الثلاث، فالخطب والمواعظ لا تأتي ثمارها ما لم تتوج بالعمل، فالمسلمون بدؤوا يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة حيث كانت أول ساحة للعمل، وهذا التوجيه المنهجي للعمل هو شرط عام أولاً، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك، لأنه كلما تقدم التوجيه المثلث ـ توجيه الثقافة والعمل ورأس المال ـ للإنسان المسلم تغير وجه الحياة حتماً فيكتمل ويحتل مستوى أرفع[33].

2.1.4 : توجيه رأس المال: يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي غني في المجال المادي من حيث التراب والمال حيث البترول الذي هو عصب أي تنمية، ولكن كل ذلك لا يمكن أن يركب عوامل النهضة إذا لم يوجه توجيهاً نابعاً من فكرة دينية تربط بين الفكر والعمل، وهو يرى أن العالم الإسلامي يملك ثروة ولكنه لا يملك رأسمال، لأنه يرى أنه هو الذي يتحرك، ومن ثم يوجّه على أساس المنهج الثقافي المنتج، فهو يرى ارتباطا بين توجيه رأس المال والنهج الثقافي، فالمقصود من توجيه رأس المال هو إنه " لا يتصل بالكم، بل بالكيف، لتصبح كل قطعة مالية متحركة متنقلة توجد معها العمل والنشاط، أما الكم فإن ذلك الدور الثاني دور التوسع والشمول[34].

إذن فلابد من تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويلها من ثروة مكدسة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد، فلابد من منهاج يحدد تخطيطاً مناسباً نبني عليه حياتنا الاقتصادية.

2.4 : التراب: عندما يضع مالك بن نبي هذا العنصر لا يقصد منه دراسة خصائص التراب وطبيعته ولكنه يدرسه من خلال قيمته الاجتماعية، حيث تتحقق من خلال قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة يكون التراب غالي القيمة، وعندما تكون الأمة متخلفة يكون التراب رخيص، ثم يضرب مثالاً من الجزائر، حيث موت الأرض الخضراء، وانتشار الصحاري وعدم فعالية الإنسان في مواجهتها؛ لتقاعسه عن العمل، ولذلك فهو يوجه الإنسان إلى العمل

مع هذا العنصر الأساسي فيقول: "ومهما يكن من بدائية وسائلنا فإن علينا أن نعمل، فالعمل لازم لزوم دراسة طبيعة الأرض والمناخ، فإننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق، وعندما تتحقق تلك المعجزة بانتصارنا على أنفسنا وعلى أهوال الطبيعة فإننا سوف نرى أية رسالة في التاريخ نحن منتدبون إليها، لأننا نكون قد شرعنا في بناء حياة جديدة ، ابتدأت بالجهود الجماعية بدل الجهود الفردية ، ولسوف تظهر أمامنا بعد ذلك أعمال جليلة خطيرة ، ولكنها سوف لا تخيفنا ، لأن شعبنا أخضع التراب، ومهد فيه لحضارته، ولم يعد شعباً يخاف نوائب الزمن"[35].

3.4: الوقت: يريد مالك بن نبي من خلال هذا العنصر أن تعود الأمة عملياً لإدراك قيمة الوقت وكيفية استغلاله، فالوقت "يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول عدماً"[36].

فالعالم الإسلامي يعرف شيئاً يسمى الوقت الذي ينتهي إلى العدم؛ لعدم إدراك معنى الوقت ومعنى الزمن، لأن إدراك معنى الزمن يحدد معنى التأثير والإنتاج إذا دخل في تكوين الفكرة والنشاط، فالحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت الذي كان وما يزال يفوتنا قطارهما ، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق، وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا [37].

وذلك إذا حاول كل فرد منا "تخصيص نصف ساعة يومياً لأداء واجب معين فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة النهضة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلقية والفنية والاقتصادية والمنزلية، وسيثبت نصف الساعة هنا عملياً فكرة الزمن في العقل الإسلامي، أي في أسلوب الحياة في المجتمع ، وفي سلوك أفراده ، فإذا استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولاً في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي"[38].

وبذلك تتحقق النهضة و التنمية المطلوبة. وفي نفس الوقت الذي يؤكد فيه مالك بن نبي على أهمية عنصر الزمن في حركة التنمية وصعودها فإنه يحذر من الاستغراق في العمل والجهد من أجل الإنتاج، حتى لا ننسى الجوانب النفسية في حياتنا كالغرب الصناعي.

5. رهانات التنمية

تراهن التنمية في الوطن العربي عموما على شقين أساسيين لا بد من توفيرهما من تحقيق بعد إستراتيجي يضمن للأجيال صيرورتها و التحكم في متغيرات المستقبل:

1.5 : التنمية على الصعيد الداخلي: يذهب مالك بن نبي في تشخيصه للتنمية و رهاناتها في الدول المتخلفة أنه يجب توفير أسباب الوثبة الاقتصادية التي تحقق أهداف المجتمع في تكريس سياسة تنموية تبعد بها عن خانة المجتمعات المتخلفة، و تتمثل هذه الرهانات ـ بإيجاز ـ في :

1.1.5 : فلاحته و هي تزيد أو تنقص بدرجة وسائله البدائية: إن تحقيق الاكتفاء الذاتي يبدأ بالدرجة الأولى بالرجوع بالمجتمع إلى النمط الاقتصادي السائد في المجتمع من القدم، و الراجح أن الجزائر ـ و المغرب العربي عموما ـ كانت تعتمد بالدرجة الأولى الزراعة التي هي عصب الاقتصاد، و أن أية نهضة تستهدفها هذه الدول لا بد أن تأخذ بالزراعة في حسبانها. و قد كان القضاء على النمط الزراعي الشائع في الجزائر عن قصد بغية تحطيم النظام الزراعي السائد، و تعويضه بالجانب الصناعي الذي أخذت منه الدول المتخلفة جانب استخراج المواد الخام ، و تركيز الصناعة في المدن من أجل تفريغ القرى من سكانها، و القضاء المبرم على المجتمع، و تحويله من مجتمع يتضامن تضامن آلي إلى مجتمع يتضامن عضوي، و بالتالي تتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية. و بالتالي فقدان التماسك الاجتماعي.

و كان اهتمام مالك بن نبي بالفلاحة كمن أجل ضمان لقمة العيش الكريم لكافة أفراد المجتمع.

2.1.5 : ما يملك من مواد خام في السوق و في باطن الأرض : إن التخلص من الهيمنة الأوروبية و دول المركز باستغلال المواد الخام الموجودة و تخليصها من السيطرة الاستعمارية سواء كان ذلك بدأ بعملية التنقيب أو التحويل أو التصدير ، و يرى أن من الواجب على دول العالم الثالث أن تحسن استغلال موادها الخام ليس أن تعمل على تصديرها خاما من الباب، و تستورده مصنعا من النافذة..."...كل منتوج نصدّره إلى الخارج كما تنتجه الطبيعة يكون تصديره بالنسبة إلى الحالة الاجتماعية في بلد معين خسارة تحدد اقتصاديا ما يسمى (بلد متخلف)[39].

3.1.5 : العمل المتوقع الذي يمكن أن نحوله إلى واقع يعد بساعات العمل: تولي النظرية الاجتماعية في أدبيات التنظيم المؤسسة الحديثة جانب الاستثمار في الموارد البشرية عناية كبيرة لما له من دور فعال في تحديد نسبة نجاح المؤسسة اقتصاديا ، لأن الاستثمار المالي وحده غير كاف لإنجاح التنمية دون الاهتمام بالجانب الاجتماعي ، فقد نوفر لقمة العيش لفئة من المجتمع و نترك البقية أفواها تفغر أفواهها بحثا عن لقمة العيش، تتوكأ على ما تمنحه فئة "العمل المتوقع" و هي العمال الذين يشتغلون فعلا، مما تؤدي بها إلى الهجرة و تتركه من نزيف في طاقاته العاملة أو القادرة على العمل حين تهاجر بحثا عن العمل، و هي غالبا ما تكون ذات كفاءة عالية[40].

أما المجتمعات التي تلجأ منذ البداية الى الاستثمار الاجتماعي للإنسان و محاولة تطوير ذاته من خلال الإمكانات المتاحة و الطاقات الموجودة من خلال معادلة (الإنسان والتراب والزمن)، و يخلص مالك بن نبي إلى ضرورة أن تعي البلدان المتخلفة أن القدرة المالية وحدها لا يبني اقتصادا متينا، بل أن الاستثمار الحقيقي هو الذي يهتم بالجانب الاجتماعي ، أن ليس لها للخروج من مأزق التخلف إلاّ عن طريق الاستثمار الاجتماعي الذي يتيح لكل السواعد و لكل الأفواه أن تجد قوتها[41].

4.1.5: أولوية الإنتاج على الاستهلاك: إن معادلتي (الحقوق و الواجبات) و (الإنتاج و الاستهلاك) من الأمور التي شغلت فكر مالك بن نبي الاقتصادي. و يوضح تأثيرهما على نمط و حياة المجتمع من خلال الصيغة الرياضية التالية:

حق + واجب = صفر . إنتاج + استهلاك = صفر

إن التخلص من التخلف و تبعاته السوسيواقتصادية يجب أن يبدأ من نبذ ذهان السهولة و الاستكانة الى الراحة والدعة، الى التشمير عن سواعد الجد و مضاعفة الجهد، و الاهتمام بالإنتاج على حساب الاستهلاك.

2.5 : التنمية على الصعيد الخارجي :

1.2.5 : مراجعة أسعار المادة الخام في السوق العالمية : و هذا لأن الاستعمار من البداية ربط اقتصاديات الدول النامية باقتصاده، من خلال الزج بالمواد الخام الموجودة في هذه الدول في البورصات العالمية ، أي سوف يؤدي حتما الى انهيار الميزان التجاري في هذه الدول ، لأن قيمة المبيعات لا تساوي شيئا من قيمة المقتنيات التي تفرضها الدول المصنعة. لذا نجد مالك بن نبي يحاول أن يفك العلاقة بين المواد الخام التي تملكها الدول النامية، و بين العملة المتداولة في السوق العالمية، و التفكير بجد و وضع آليات و تدابير جديدة تتماشى مع مكانيزمات السوق لأنه من غير المعقول أن يشتري الغرب المواد الخام بالسعر الذي يراه، و يبيع سلعته كيفما يريد، لذا يقترح "**مصرف المادة الخام**" عوضا عن مصرف "**العملة الصعبة**" من خلال وضع تشريعات و قوانين يحمي أسعار المواد الخام من المضاربة ، و ذلك بتوحيد الجهود بين كافة الأطراف و تنسيق بينها في استراتيجيات التنمية لكي تتماشى مع هذا الطرح الجديد .

2.2.5 : التكتل الاقتصادي بين دول العالم الثالث: إن التكتل الاقتصادي بين الدول هو ميزة العصر الحديث كما هو موجود في أوروبا في صيغة (الإتحاد الأوروبي) و (الآسيان) بين دول آسيا ، و يبقى الإتحاد هو صمام الأمان للدول الصغيرة لكي لا تلتهم من قبل التكتلات الكبيرة، و تعمل هذه الأخيرة على

التفرقة بين الدول ، و التعامل معها فرادى من أجل فرض شروطها على الآخر. و قد تفطن المفكر مالك بن نبي الى قيمة التكتل و ما ينجر عنه فائدة على المجتمعات المتخلفة. و قد تعرض مالك بن نبي الى فكرة (كومنولث إسلامي) باعتبارها موضوع بحث يرمي الى تخطيط وحدة جغرافية سياسية معينة أو الى مجرد معرفة نظرية للوقوف على معلومات أوسع بشأن هذه الوحدة يوجب أن يتضمن هذا البحث بعض الحقائق الأساسية و المقتضيات التي تميز موضوع البحث و تبرر الحل الذي يراد إيجاده.

ومن جملة الحقائق الأساسية هي احتفاظ العالم الإسلامي في المرحلة التي يجتازها الآن بـ (وحدته الروحية) التي تعد عاملا جامعا أساسيا ومبدأ موحدا يجب أن يطبق، في أي مرحلة لتخطيطه تطبيقا يناسب تجانس المشروع من الناحية السيكولوجية و تناسق عناصره من الناحية الفنية[42].

لذا يدعو مالك بن نبي الدول العربية الى توحيد الرؤية الاقتصادية تنظيرا و تطبيقا و الدخول في الفضاء الاقتصادي العالمي ككتلة موحدة في شكل(السوق العربية المشتركة).

الخاتمة

قدّم مالك بن نبي إسهاما يدخل ضمن إطار الفكر الحضاري عموما، الذي يقدم للإنسانية جمعاء فكرا تكرع من معينه أجيالا يتعقبها الزمن، إذ أن سننية الطرح و عمقه لا يعدو أن يكون طرحا متحيزا لجهة دون أخرى، فهو فكر إذا ما تناولته أي جهة مهما موقعها و إيديولوجيتها فحليفها النجاح.ومن النقاط التي نوجزها في الخلاصة حول عملية التنمية عند **إبن نبي** ما يلي:

1.الارتباط الوثيق بين التنمية و الحضارة، فالتنمية كما يراها مالك بن نبي هي متطابقة مع فكرة الحضارة، ذلك أن النمو حضارة و التخلف انحطاط. و الحضارة في جوهرها عند مالك بن نبي : " هي مجموعة الشروط المعنوية و المادية التي تتيسر لمجتمع معين أن يقدم كل فرد ، في كل طور من أطوار وجوده ، من الطفولة إلى الشيخوخة ، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه " أي أن التنمية عند مالك بن نبي تأخذ الثقافة كمحتوى و كوعاء لها لكي تضمن المشاركة الاجتماعية الكلية لها .

2.إن التنمية هي عملية تغيير شاملة تستهدف الظروف البنائية و الوظيفية للمجتمع، فإن ذلك لا يكون إلاّ بالتكامل و التكتل مع جهات أخرى ، أو داخل النسق نفسه في إطار التكامل بين أعضاء البلدان بين محور طنجة ـ جاكرتا . و تقوم الاقتصاديات الحديثة على فكرة التكامل و التبادل بين الدولة إذ لا تقوم مشاريع التنمية الكبرى على اقتصاد محلي بل تقوم على أسس علمية متينة، وعليه فإن التكامل بين دول العالم الإسلامي لإرساء ما يسميه مالك بن نبي بـ" الاقتصاد المشترك أو الموحد " صار ضرورة إستراتيجية لتحقيق الهبة الاقتصادية المطلوبة لتحقيق على الأقل الاكتفاء الذاتي ،أي الحلقة الاقتصادية التي تستطيع الانغلاق على نفسها إذا اقتضت الضرورة الداخلية ذلك[43].

3. ارتباط الجانب التنموي بالجانب الديني الذي يريد التطور و التقدم، إذ أن من شروط هذا الإقلاع أن يربط المخطط و المنظر للتنمية بين عقائد و ثقافة المجتمع

المخطط له، و هي نفس القناعات التي انطلق منها المجتمع السوفياتي و الصيني في تمثّل التنمية كآلية للخروج من التخلف. و قد ضرب مالك بن نبي مثالا عن بناء المسجد النبوي فقد كان الصحابة يحملون حجرا واحدا، و كان عمار بن ياسر يحمل على كتفيه حجرتين ، فرآه الرسول ـ ص ـ فقال له : "لكل هؤلاء نصيب في الجنة و أنت لك نصيبان " فقد كان العامل الديني دورا محورا في دفع الصحابي الجليل الى حمل حجرتين مرة واحدة .

و الجانب الروحي و استثمار الطاقة الروحية الكامنة في نفسية الإنسان المسلم لتحقيق الفعالية التي تعد أهم محور ركّز عليه مالك بن نبي في الدفع بالتنمية قدما صوب تحقيق غاياتها القصوى ، و عكس ذلك ما أصاب الأمة من ذهان السهولة و الصعوبة على حد السواء في تعطيل هذا المشروع الاقتصادي في محور طنجة ـ جاكرتا، هذا الجانب الروحي هو الذي أسس لحضارة الإسلام في قرونها الأولى، حيث فتحت الأمصار و شيدت دول و حضارات انطلاقا من الجانب الروحي القوي التي تتمتع بها دولة الإسلام.

4. يرى مالك بن نبي أن وعي الجانب الاقتصادي لا يتم إلاّ من خلال وضع خطة تربوية في إطارها الثقافي يعيد من خلاله الى الإنسان دوره الطبيعي في الحياة و يزوده بالأفكار الحية، الذي هو حجر الزاوية بالنسبة لأي إقلاع حضاري و تنموي يبقى في حاجة ماسة الى إطار تربوي يخلق من خلاله ثقافة تنموية تكون فيها الأفكار الحية و النافعة دورا فعالا في خلق فرص التنمية و النهوض.

5. الاهتمام بالجانب الفكري إذ يتجه هذا الجانب الى تأطير عملية التنمية بآراء و تصورات فكرية تأخذ على عاتقها تمحيص و نقد المداخل و المذاهب الاقتصادية الكبرى و استثمارها في الواقع العربي والإسلامي ، لنأخذ بمستويات الوعي الاقتصادي لتنمية المجتمعات المتخلفة و إعادة صياغة النماذج الإنتاجية و الاستهلاكية و التبادلية و التوزيعية و تحسين المواقف تجاه ركائز الاقتصاد و على رأسها المال. و يكمن إعادة الوعي التنموي للأمة في النقاط التالية :

أ/ التثمين الحقيقي لدور الكميات و الأرقام في تحديد مجال التنمية مقابل الطاقات النفسية و الاجتماعية الكامنة والتي تظل في مرحلة حبيسة الاحتمال في حين تصير عند الإقلاع من عناصر الإمكان الاقتصادي.

ب/ إعادة الاعتبار للاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي و المادي .

ج / إعادة الاعتبار لوظيفة الادخار مقابل وظيفة الاستهلاك .

د / الوعي بعدم عدالة أنماط التبادل القائمة مما يستدعي أنماطا جديدة أو على الأقل التفكير في أنماط جديدة نابعة من التصور السليم للقيمة مادامت المذاهب الاقتصادية هي التي تصنع أنماط تبادلها.

6. مراعاة الجانب الاجتماعي و المعيشي، إذ يؤكد مالك بن نبي على المستوى الاجتماعي أن توازن المجتمع بين الحق و الواجب، بين الإنتاج و الاستهلاك ، هي المعادلة التي يستقيم من خلالها المجتمع و يحقق المعادلة الاجتماعية المطلوبة التي هي شرطا أساسيا من شروط النهوض التنموي .

و يقصد مالك بن نبي بالجانب المعيشي عن الحق في التأمين الاجتماعي، الذي ينطلق في تأمين حد الكفاف من العيش ، فإن توفير لقمة العيش لحفظ النوع يعد طرفا حاسما فيما يسميه مالك بن نبي "بتحقيق الديناميكا الاقتصادية "إذ لا يمكن تصور اقتصاد تنمية بطريقة مستقلة عن اقتصاد متين لتحقيق القوت[44].

و الشعب الذي يقوم بعملية التنمية هو الشعب الذي يملك الحد الأدنى من قوته ليفعّل آليات التعمير و سبل النهوض.

7. الجانب السيكولوجي: أثّر بُعد الإنسان المسلم عن دينه في مجال التشريع للمجتمع على الناحية النفسية للإنسان التي تتطلب نفسية مرتفعة تعلو من خلالها همم الأفراد و الجماعات داخل المجتمع، و تركز المداخل الحديثة في التنمية على الجانب السيكولوجي كثيرا لما له من أثر على المردود التنموي كما يوضح ذلك **(دافيد ماكيلاند)**، و(**دانييل لرنر**) و(**وافرت هيجن**) في المدخل السيكولوجي

للتنمية الذين يذهبون الى أن درجة الدافعية أو الحاجة الى الإنجاز هي الدعامة الأساسية للتنمية الاقتصادية ، وأن تغيير الاتجاهات والقيم و السلوكيات تعد شرطا أساسيا لخلق مجتمع حديث.

8 ـ التأكيد على الجانب التخطيطي، فإذا كان التخطيط يعرّف بأنه المواءمة بين ما هو مطلوب و ما هو متاح عمليا، و هو يعني تعبئة و تنسيق و توجيه الموارد و الطاقات و القوى البشرية المتاحة لتحقيق أهداف اقتصادية أو اجتماعية متفق عليها . ومنه لا يمكن قيام عمل تنموي في غياب تخطيط علمي يسمح بتطبيق الخبرات و التجارب على الصورة المرجوة. لذا يؤكد مالك بن نبي على ضرورة الأخذ في الحسبان الإنعاش الزراعي و الموازنة مع المتطلبات الصناعية و المتطلبات الزراعية بما يتماشى و الإمكانات المتوفرة في العالم الإسلامي، و بما يقتضيه سلّم الأولويات في التنمية. و في هذا المستوى يتحدث مالك بن نبي عن تخطيط التنمية بتحديد الأهداف النهائية و المرحلية و إحصاء الإمكانيات المتوفرة و اللازمة بالطرق العلمية لا التخمينية، و وضع حسابات دقيقة للمراحل التي يجب أن تجتازها المرحلة، و تكييف ظروف الإسكان و المواصلات و التموين لمتطلبات التنمية.

9 ـ البعد الثقافي للتنمية عند مالك بن نبي، و هو طرح جديد بالنسبة لنظرية التنمية ، إذ أن التكامل بين الإنسان و التراب و الزمن ، في تلاحم هذه الأعضاء بالدين ، يؤدي إلى إيجاد الشروط المادية للحضارة، و التي تتمثل في إيجاد صيغة أخلاقية للحقوق و الواجبات في المجتمع .

10 ـ توفير الإرادة للتنمية، فهي عكس الركود و التكديس و الذرية و الشيئية، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، و هذا بمقتضي قوله تعالى : (إن الله لا يغيروا ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم).و إرادة التنمية هي محور الإبتعاث و مكمن القوة التغييرية لدى أي شعب. لأن الاقتصاد في عرف مالك بن نبي ما هو إلاّ إسقاط

البعد السياسي على نشاط إنساني معين، فبقدر ما تبقى السياسة مرتبطة بمبادئ أخلاقية معينة، يبقى الاقتصاد وفيًا للمبادئ ذاتها .

11 ـ ضرورة الإتحاد و التكتل من أجل بناء الحضارة بين الدول الإسلامية أو بين الدول العربية، فقد طرح مالك بن نبي فكرة " محور طنجة _ جاكرتا "، و فكرة " كومنولث إسلامي " و الذي اهتدت إليه دول أسيا في ما يعرف بـ (دول الآسيان) أو طريقة (طيور الأوز)، فيما ما بقي المشروع يراوح مكانه بين الدول العربية كـ (مجلس التعاون الخليجي) أو (إتحاد المغرب العربي).

❖ **هوامش البحث**

(1) مالك بن نبي، **آفاق جزائرية**، ط2، مكتبة عمار، مصر، 1964، ص 23.

(2) مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ط2، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، القاهرة، 1970، ص43.

(3) مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1960، ص27.

(4) مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**، مرجع سبق ذكره، ص27.

(5) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 80.

(6) مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**،ط3، دار الشروق، بيروت، لبنان،1978، ص36 .

(7) مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ط4، دار الفكر ترجمة عبد الصبور شاهين. إشراف ندوة مالك بن نبي.الجزائر، ص14.

(8) مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، مرجع سبق ذكره، ص 153.

(9) مالك بن نبي، **تأملات**، ط5، دار الفكر، إشراف مالك بن نبي، الجزائر، ص 166.

(10) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص70.

(11) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص74.

(12) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سبق ذكره، ص74.

(13) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص77.

(14) عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب،باتنة، الجزائر، 1984،ص53.

(15) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص91.

(16) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص96.

(17) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص27.

(18) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص38.

(19) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص42.

(20) كمال التابعي، **تغريب العالم الثالث** ، دراسة نقدية في علم الاجتماع التنمية ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1995، ص151

(21) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة،مرجع سبق ذكره، ص67.

(22) مالك بن نبي، **بين الرشاد و التيه**، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص60.

(23) مالك بن نبي، تأملات، مرجع سبق ذكره، ص125

(24) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 78.

(25) مالك بن نبي، شروط النهضة، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 83.

(26) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص101.

(27) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص89.

(28) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سبق ذكره، ص79.

(29) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص96.

(30) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص105.

(31) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص17.

(32) ملك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، ص96، 95.

(33) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص108.

(34) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص112.

(35) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، ص135، 136.

(36) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، 135.

(37) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص140.

(38) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، ص140 ، 141.

(39) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سبق ذكره، ص 188.

(40) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سبق ذكره، ص 194.

(41) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص62 .

(42) مالك بن نبي، فكرة كومنولث إسلامي، ط6، دار الفكر ، دمشق، سوريا، 2006، ص12.

(43) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص107.

(44) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سبق ذكره، ص161.